الاتجاه الفقهي وأثره في الحياة العملية عند المسلمين

إعداد

د. حنان أحمد عبدالجليل

الملخص:

لا شك أن القرآن العظيم بإعجازه وإيجاز ألفاظه يحمل من المعاني الكثير، وأن المتتبع لآياته يجد بين ثناياها المعاني الكامنة، وانه كلما قوي مدرك المجتهد كلما كثرت استنباطاته من هذا الكتاب، وإيجاد الأحكام التي تنفع المجتمع، وتلائم حاجياته، كما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه:" كل علم أنما أساسه في القرآن، لكن علمنا قصر عنه "، ويقول الشافعي في رسالته المشهورة: " فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل علي سبيل الهدي إليها " وذلك لان الله تعالي يقول:" وَنَزَّلنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ " وغير ذلك من الآيات كما تقدم.

ومن هذا المنطلق، فإن المجتمع إن أراد السعادة الدنيوية والأخروية والفوز فيهما، فإنه يجد في هذا الكتاب – أي القرآن – وما حواه من إرشادات كما قال الشافعي أيضا: " فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصا أو استدلالا، ووفقه الله للقول والعمل لما علم منه فاز بالفضيلة في دينه ودينا ه ".

Abstract:

There is no doubt that the great Qur'an, with its miraculous Ness and brevity of its words, carries many meanings, and that the one who follows its verses finds the hidden meanings within them, and that the stronger the hardworking one perceives, the more his deductions will be from this book, and he will find rulings that benefit society and suit its needs, as it came from Ibn Masoud, may God be pleased with him. About him: "All knowledge has its basis in the Qur'an, but our knowledge falls short of it." And Al-Shafi'i says in his famous treatise: "There is no revelation sent down to anyone from the people of God's religion except that in God's Book there is evidence for the way to guide it." This is because God Almighty says: "And We revealed to you The Book is a clarification of everything" and other verses as previously mentioned.

From this point of view, if society wants worldly and hereafter happiness and victory in them, it will find in this book - i.e. the Qur'an - and the guidance it contains, as al-Shafi'i also said: "Whoever understands the knowledge of God's rulings in his book by text or inference, and God grants him success in speech and action for what Knowledge from him won virtue in his religion and life.

المقدمة:

لا شك أن القرآن العظيم بإعجازه وإيجاز ألفاظه يحمل من المعاني الكثير، وأن المتتبع لآياته يجد بين ثناياها المعاني الكامنة، وانه كلما قوي مدرك المجتهد كلما كثرت استنباطاته من هذا الكتاب، وإيجاد الأحكام التي تنفع المجتمع، وتلائم حاجياته، كما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه:" كل علم أنما أساسه في القرآن، لكن علمنا قصر عنه " (١)، ويقول الشافعي في رسالته المشهورة: " فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل علي سبيل الهدي إليها " (٢) وذلك لان الله تعالي يقول:" وَنَزَّلنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ " (٣) وغير ذلك من الآيات كما تقدم.

ومن هذا المنطلق، فإن المجتمع إن أراد السعادة الدنيوية والأخروية والفوز فيهما، فإنه يجد في هذا الكتاب – أي القرآن – وما حواه من إرشادات كما قال الشافعي أيضا: " فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصا أو استدلالا، ووفقه الله للقول والعمل لما علم منه فاز بالفضيلة في دينه ودينا ه " (٤).

ومثالا علي ذلك ما تلقنه الصحابة من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حينما اتجهوا إلي القرآن يستنبطون منه الأحكام ليعالجوا ما حل بهم من مشاكل، ومن ذلك قصة عمرو بن العاص – رضي الله عنه – الذي تيمم وصلي في ليلة شاتيه، ولما سأله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن ذلك احتج بقوله تعالي: " وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً " (٥) أقره النبي – صلى الله عليه وسلم – ولم يقل شيئا.

وهكذا كلما زادت الحاجة إلي بيان موقف الشريعة من الأمور المستجدة كلما ظهرت اجتهادات المجتهدين، وتوسعت آفاق معارفهم، مما أوجد ثروة كبيرة من الاستنباطات الفقهية

---

(١) **الرسالة للشافعي : (ص ١٢).**

(٢) **المصدر نفسه : (ص ١٩).**

(٣) **سورة النحل : الآية (٨٩).**

(٤) **سورة النساء : الآية (٢٩).**

(٥) **رواه أبو داود : (٩٢/١) برقم (٣٣٤) وأحمد وغيره وهو حديث صحيح .**

العلمية، واعتقاد المسلم أن في كتاب الله بغيته ومقصودة وحل مشاكله يجعله أشد التصاقا بهذا الكتاب، مما يثري الحياة العلمية، ولن من يجد لهم في كتابه ما يحل مشاكلهم، ولهذا كثرت التفاسير وتشعبت الدراسات القرآنية، مما جعل المكتبة الإسلامية زاخرة بآلاف الكتب التي تعني بفهم كتاب الله ودراسته.

أهمية البحث:

بيان أثر الاتجاه الفقهي في حياة المسلمين، وبيان الصلة بين القرآن الكريم والأحكام الشرعية العملية.

الهدف من البحث:

يهدف البحث إلى التعرف على أهم المؤلفات في التفسير الفقهي، وأثرها في الحياة العملية للمسلمين.

منهج البحث:

يعتمد البحث علي المنهج الاستقرائي والاستنباطي بالرجوع إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية و المعاجم اللغوية التي تناولت موضوع البحث.

خطة البحث:

تشتمل الدراسة على مقدمة ومبحثين:

- المبحث الأول: رحلة التأليف في التفسير الفقهي.
- المبحث الثاني: أثر الاتجاه الفقهي في الحياة العملية عند المسلمين.

المبحث الأول: رحلة التأليف في التفسير الفقهي

١. بدايات التأليف في عهد الأئمة المجتهدين

ذكرت لنا فهارس الكتب والتراجم عددا من الذين قد ألفوا في هذا العلم في عهد المجتهدين والبداية في التصنيف في العلوم، حيث كان التأليف يتناول بعض علوم القرآن، ويستقل بخدمة كتاب الله، حيث ظهرت التآليف في الناسخ والمنسوخ وعلوم اللغة وجمع التفسير بالمأثور، وكتب غريب القرآن، والوجوه والنظائر، قبل أن تكون مجموعة في تفاسير جامعة شاملة.

- ومن تلك الكتب التي أفردت لدراسة أحكام القرآن:

أحكام القرآن للإمام الشافعي: محمد بن إدريس الإمام المجتهد (ت: ٢٠٤هـ) ويعد أول من ألف في هذا العلم، وقد ذكره الشافعي نفسه في كتابه المشهور الرسالة، كما أن تلاميذه كالمزني وأبي العباس الأصم ومحمد بن عبد الله بن الحكم قد نقلوه أو ذكروا سماعهم له(٦) والظاهر أن هذا الكتاب مفقود، وقد قام الإمام البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) بجمع أقوال الشافعي في كتاب أحكام القرآن، وهو المطبوع المتداول الآن.

١. يحيي بن آدم بن سليمان الكوفي المخزومي (ت: ٢٠٣هـ) له كتاب أحكام القرآن (٧) .

٢. أحكام القرآن: لأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي (ت: ٢٤٠هـ) وقد اخذ الفقه عن الشافعي (٨).

٣. يحيي بن أكثر المروزي (ت: ٢٤٢هـ) له كتاب، إيجاب التمسك بأحكام القرآن(٩).

٤. علي بن حجر بن إياس المروزي: أخرج له أصحاب الكتب الستة (ت: ٢٤٤هـ) (١٠).

٥. حفص الضرير أبو عمر: من جلة المحدثين (ت: ٢٤٥هـ). (١١)

٦. محمد بن السائب الكلبي أبو نصر (ت: ١٤٦هـ) (١٢).

٧. داود بن علي بن خلف الظاهري (ت: ٢٧٠هـ) (١٣).

٨. يحيي بن منصور السلمي أبو سعد الإمام الهروي (١٤).

---

(٦) **ينظر: الرسالة للشافعي : ١٤٥، الداودي : طبقات المفسرين ١٠٣/٢ ، والشافعي لأبي زهرة :١٥٣، وينظر تعليق الشيخ عبد الغني عبد الخالق علي كتاب أحكام القرآن جمع البيهقي :١٩١/٢.**

(٧) **الداودي: طبقات المفسرين : ١٦٢/٢.**

(٨) **ينظر: الفهرست لابن النديم ٥٧/١، و الداودي : طبقات المفسرين ٩/١، وهداية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، طبع دار العلوم الحديثة، بيروت ٤/١.**

(٩) **الداودي : طبقات المفسرين ٣٦٣/٢، وابن النديم : الفهرست ٥٧/١.**

(١٠) **الداودي : طبقات المفسرين: ٤٠١/١، كشف الظنون ، حاجي خليفة ، بيروت ، سنة ١٤٠٢ هـ ، ٨ /١.**

(١١) **الداودي : طبقات المفسرين : ٣٢٣/١، هدية العارفين بأسماء المؤلّفين وآثار المصنفين – إسماعيل باشا البغدادي، دار العلوم الحديثة، بيروت. ٤١/٢.**

(١٢) **ابن النديم : الفهرست : ٥٦/١.**

(١٣) **المصدر نفسه : ٥٧/١.**

٩. جبير بن غالب يكنى أبا فراس كان فقيها شاعرا خطيبا فصيحا، له كتاب «أحكام القرآن»، وكتاب «السنن والأحكام»، و «الجامع الكبير» في الفقه، وله رسالة كتب بها إلى مالك بن أنس(١٥).

وهذه الكتب كلها من المفقودات، إلا ما ذكره علي بن حجر السعدي في كتابه أحكام القرآن، فقد قيل إنه طبع قسم منه في الرياض من طرق أحد الرواة.

٢. التأليف في أحكام القرآن عند أتباع المذاهب والمدارس الفقهية المعروفة:

لما استقرت المذاهب الفقهية، وأصبح للمجتهدين تلامذة وأصحاب معروفون، دونوا مذاهب شيوخهم(وقاموا بنصرة مذاهبهم أئمة ينتسبون إليهم وينصرون أقوالهم) (١٦)، وأخذ أتباعهم يؤلفون في قواعد شيوخهم ووجوه استدلالاتهم، فكرسوا لخدمة مرجع الأحكام الأول ألا وهو كتاب الله، فقد ظهرت مصنفات تحمل طابع المذهبية في تفسير القرآن، لذا قام أتباع كل مذهب ببيان وتفسير الأحكام كل حسب مذهبه، وفي ضوء قواعد شيخه، وقد عرف لكل مذهب تفسيره لأحكام القرآن خاص به (١٧)، وقد أورد كتاب السير والتراجم وأسماء الكتب من ذلك، وقد رتبتها حسب المذاهب الفقهية المعروفة، وأشير إلي ما ذكره، وإن كان قد طبع بينته، ملخصا ذلك حسب وفياتهم.

---

(١٤) **الذهبي :سير أعلام النبلاء : ٥٧١/١٣.**

(١٥) **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى ١٣٩٣هـ الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ (٧/٢٩).**

(١٦) **ينظر طبقات الفقهاء للشيرازي (٩٧)**

(١٧) **أسباب اختلاف المفسرين : د/ للدكتور عبد الله الحوري (٤٠).**

أولا: فقهاء الحنفية:

أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي: وهو أول من ألف من الأحناف، عاش في مصر وتوفي سنة (٣٢١هـ) وقد عثر علي بعض أجزاء من كتابه (أحكام القرآن) وقد حققه د: سعد الدين اونال في اسطنبول(١٨).

١. أبو الحسين علي بن موسي بن يزداد القمي الحنفي: إمام أهل الرأي في عصره، له كتاب (أحكام القرآن) وهو كتاب جليل كما يقول الداودي، وكتاب نقض ما خالف فيه الشافعي العراقيين في أحكام القرآن (ت: ٣٠٥هـ) وقال الذهبي عن أحكام القرآن: كتاب نفيس (١٩).

٢. احمد بن علي أبو بكر الجصاص الرازي الحنفي (ت:٣٧٠هـ) وكتابه مطبوع متداول (٢٠)، وهو أوسع كتب أحكام القرآن عند الأحناف، مع مقارنة بالمذاهب الأخرى.

٣. محمد بن إبراهيم الحنفي (ت:٤٩٤هـ) الفقيه الرازي من الفقهاء الزهاد، له كتاب (تأويل آيتي القتل في سورة النساء) (٢١).

٤. جمال الدين محمود المعروف بابن السراج الحنفي (ت: ٧٧١هـ) القونوي الدمشقي، له (تهذيب أحكام القرآن) مجلد واحد (٢٢).

٥. ناصر بن منصور بن أبي القاسم: له تفسير في ثمانية مجلدات كبار عظام، يحتج لأبي حنيفة وأصحابه، ويذكر الأحكام ومسائلها مفصلا (٢٣).

٦. أحمد بن أبي سعيد المدعو بملا جيون: من علماء القرن الحادي عشر الهجري، له كتاب (التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية)، وهو مطبوع بالهند في مجلد كبير، ومنه نسخه في مكتبة الأزهرية وأخري في الجامعة المصرية (٢٤).

---

(١٨) **ينظر الداودي : طبقات المفسرين : (٤٣٩/١) ، الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢٣٦/١٢).**

(١٩) **الشيرازي : طبقات الفقهاء : ١٤٢، والداودي : طبقات المفسرين ٧٦/١.**

(٢٠) **الجصاص ومنهجه في تفسيره أحكام القرآن د/ عبد الكريم القيسي (ص ٧٥)..**

(٢١) **ينظر : الداودي : طبقات المفسرين : ٥١/٢**

(٢٢) **المصدر نفسه ٣١٠/٢.**

(٢٣) **المصدر نفسه ٣٤٥/٢، و حاجي خليفة : كشف الظنون ٣٧٥/١.**

٧. الشيخ أشرف علي التهانوي شيخ مشايخ العصر في الهند (ت ١٣٦٢هـ): له كتاب (أحكام القرآن) جمعه محمد شفيع الندوي، وهو مطبوع في خمسة مجلدات، وهو علي مذهب أبي حنيفة (٢٥).

ثانيا: فقهاء المالكية:

١. محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: الإمام الحافظ المالكي فقيه عصره (ت: ٢٦٨هـ) له كتاب أحكام القرآن(٢٦).

٢. إسماعيل بن إسحاق القاضي المالكي (ت: ٢٨٢هـ) له أحكام القرآن وهو مطبوع محقق ولكنه صغير الحجم(٢٧).

٣. موسي بن عبد الرحمن أبو الأسود القطان القاضي (ت: ٣٠٦هـ) له كتاب أحكام القرآن في اثني عشر جزءا (٢٨).

٤. محمد بن أحمد بن عبد الله بن بكير البغدادي القاضي (ت: ٣٠٥هـ) له كتاب في أحكام القرآن . (٢٩)

٥. القاسم بن أصبغ أبو محمد القرطبي النحوي (ت: ٣٤٠هـ) (٣٠)

٦. بكر بن محمد بن العلاء بن محمد بن زياد بن الوليد (ت: ٣٤هـ) (٣١).

٧. المنذر بن سعيد البلوطي القرطبي (ت: ٣٥٥هـ) له كتاب الأنباء عن الأحكام في كتاب الله (٣٢).

---

(٢٤) **ينظر : محمد بن حسين الذهبي: التفسير والمفسرون ٤٧٦/٢.**

(٢٥) **الاتجاه الفقهي عند المفسرين وأثره في الحياة العلمية للمسلمين: د/ مشعان سعود عبد العيساوي (ص٢٠).**

(٢٦) **ينظر الداودي: طبقات المفسرين ٧٩/٢.**

(٢٧) **المصدر نفسه ١٠١/١.**

(٢٨) **المصدر نفسه ٤٣٢/٢.**

(٢٩) **الزركشي : البرهان في علوم القرآن ٥/٢.**

(٣٠) **الداودي : طبقات المفسرين ٣٠٦/٢.**

(٣١) **الزركشي : البرهان في علوم القرآن ٥/٢، الداودي : طبقات المفسرين ١٢٢/١.**

٨. أبو إسحاق محمد بن القاسم المصري (ت: ٣٥٥هـ) ويعرف بابن القرطي(٣٣)

٩. محمد بن احمد بن عبد الله خويزمنداد العراقي، فقيه وأصولي (ت:٣٩٠هـ) (٣٤).

١٠.احمد بن علي بن احمد أبو العباس الربعي الباغاني المقرئ (ت:٤١٠هـ) (٣٥).

١١.محمد بن مكي بن أبي طالب القيسي (ت:٤٣٠هـ) له مختصر أحكام القرآن) وله المأثور عن مالك في أحكام القرآن) (٣٦) .

١٢.ابن عبد البر يوسف بن عبد الله النمري الحافظ (ت: ٤٦٣هـ) له اختصار أحكام القرآن لإسماعيل القاضي (٣٧).

١٣.القاضي أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن العربي (ت:٥٤٣هـ) له أحكام القرآن مطبوع ومتداول.

١٤.عبد المنعم بن محمد بن فرس الغرناطي (ت: ٥٩٧هـ) طبع أخيرا محققا.

١٥.أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ) كتابه (الجامع لأحكام القرآن) مطبوع ومتداول.

١٦.ابن أبي الأحوص الحافظ أبو علي الحسن بن عبد العزيز الأندلسي، من شيوخ أبي حيان، توفي تقريبا سنة (٧٠٠هـ) له كتاب (التبيان في أحكام القرآن).

ثالثا: فقهاء الشافعية:

١. احمد بن الحسين البيهقي الشافعي(ت: ٤٥٨ هـ)مؤلف كتاب(أحكام القرآن للشافعي) فهو الذي جمعه ورتبه من خلال كتب الإمام الشافعي، وقد حققه،الشيخ عبد الغني عبد الخالق وعلق عليه، وهو مطبوع متداول .

---

(٣٢) **الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٧٣/١٦.**

(٣٣) **المصدر نفسه ٧٨/١٦.**

(٣٤) **عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ٣٢١/١٣.**

(٣٥) **الداودي : طبقات المفسرين ٧٢/٢.**

(٣٦) **الداودي : طبقات المفسرين ٣٣٢/٢، واسماعيل باشا البغدادي : هداية العارفين٣٤٤/٥.**

(٣٧) **الزركشي : البرهان في علوم القرآن ٦/٢، وجلال الدين السيوطي : الإتقان ٣٥/٤.**

٢. أبو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي الفقيه الشافعي (ت: هـ) وكتابه مطبوع،وله نسخة محفوظة في مجلد كبير في دار الكتب المصرية، وفي المكتبة الأزهرية (٣٨).

٣. الإمام الشيخ عز الدين بن عبد السلام، له كتاب اسمه (الإمام في أدلة الأحكام) ذكره الزركشي والسيوطي . (٣٩)

٤. أحمد بن يوسف أبو العباس الحبي المعروف بالسمين(ت: ٧٥٦هـ) له كتاب أسماه (القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز) توجد منه نسخة غير كاملة في مكتبة الأزهر. (٤٠)

٥. علي بن عبد الله الشنفكي: من علماء القرن التاسع الهجري، له كتاب اسمه (أحكام الكتاب المبين) توجد نسخة منه في المكتبة الأزهرية مخطوطة بخط المؤلف في مجلد متوسط(٤١)

٦. جلال الدين أبو بكر عبد الرحمن السيوطي (ت: ٩١١هـ) له كتاب اسمه (الإكليل في استنباط التنزيل) وإن كان الظاهر عليه الجمع فقط لكل المذاهب، وأراء العلماء بدون أن يحسب علي مذهب معين، والكتاب مطبوع ومتداول.

رابعا: فقهاء الحنابلة:

١. القاضي أبو يعلي الكبير محمد بن الحسين الحنبلي (ت:٤٥٨هـ) ذكر له كتاب في أحكام القرآن. (٤٢)

٢. عبد الرازق الرسغني بن رزق الحنبلي (ت: ٦٦١هـ) صاحب التفسير .

---

(٣٨) **د/ محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ٤٨٩/٢.**

(٣٩) **حاجي خليفة : كشف الظنون ١/١.**

(٤٠) **د/ محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ٤٧٦/٢.**

(٤١) **المصدر نفسه ٤٧٧/٢٦.**

(٤٢) **ينظر الزركشي : البرهان في علوم القرآن (٦/٢)، والذهبي : سير أعلام النبلاء (٩١/١٨).**

٣. ابن عادل الحنبلي (ت:٨٨٠هـ). (٤٣)

وهم أقل من بقية المذاهب في التفاسير الفقهية، وليس منها شيء مطبوع أو متداول معروف، حتى قال بعضهم: " لا تجد في المكتبة التفسيرية كتابا في أحكام القرآن مؤلفه حنبلي" أي خاص بأحكام القرآن، وإلا فيوجد في كتب التفاسير العامة، كزاد المسير لابن الجوزي، فقد اعتني ببيان المذهب الحنبلي.

٣. التفسير الفقهي في العصر الحديث:

واصل العلماء البحث في آيات الأحكام في العصر الحديث، الذي يعد من العصور المتميزة في البحث وطريقة العرض، وفي الانفتاح علي جميع الآراء والمذاهب، ولم يعد الاقتصار علي مذهب واحد في كتابات العلماء، وخف أيضا الانتماء المذهبي، ولذلك اتسمت التفاسير الفقهية في هذا العصر بميزة عدم التقيد علي طريقة واحدة أو مذهب واحد، فتري أغلب من كتبوا في ذلك لا يعرف لهم في تفسيرهم أنهم أخذوا مسلكا في الاستنباط علي أصول المذاهب المعروفة، بل اتخذوا يكتبون علي ضوء المدارس الفقهية المتعددة، فلم يبقوا في دائرة واحدة بل انفتحوا علي الكل، وهذا ما سار عليه الفقه والتشريع في هذا العصر حتى أحيوا كثيرا من الآراء المندرسة والاجتهادات التي لم يكن يتعامل بها . (٤٤)

- ومن تلك الكتب المؤلفة في العصر الحديث:

١. نيل المرام من تفسير آيات الأحكام : تأليف أبي الطيب صديق بن علي الحسيني القنوجي البخاري (ت: ١٣٠٧هـ) وهو مطبوع ومتداول، ذكر الأقوال والاستنباطات وما يراه الراجح فيها بدون تطويل.

٢. تفسير آيات الأحكام: لجماعة من علماء الأزهر، قام بتحقيقه وتنقيحه وإخراجه الشيخ علي السايس، والشيخ السبكي، والشيخ محمد إبراهيم كرسون، ولكن الطبعة الأخيرة في مطبعة

(٤٣) **ذكر ذلك الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في كتابه (مناهج المفسرين ١٨/١).**

(٤٤) **ينظر ، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية : للدكتور عبد الكريم زيدان (ص ١٥٠).**

صبيح سنة ١٩٥٣م أثبت عليها الشيخ محمد علي السايس رحمه الله، وهذا الكتاب مقرر في كثير من المعاهد العلمية. (٤٥)

٣. روائع البيان في تفسير آيات الأحكام: للشيخ محمد علي الصابوني، ومؤلف كتاب صفوة التفاسير، وكأن أصل الكتاب محاضرات علمية جامعية، سلك فيها خطوات المنهج التحليلي، وقد أوصلها إلي عشر خطوات سلكها في كل آية تعترض لها بأسلوب يجمع بين القديم في رصانته، والحديث في سهولته.

٤. أحكام من القرآن الكريم: محمد صالح العثيمين رحمه الله، طبع في دار الوطن – الرياض، وهو مجلدان لم يكتمل، وصل به إلى آية ٣٠ من آل عمران، لم يتناول الأحكام الفقهية فقط، وإنما تناول الأمور الاعتقادية والأخلاقية، ويذكر مسائل وقضايا عصرية، وهو ليس نمط الكتب الأخرى في أحكام القرآن، ولكنه تناول جانبا مما تناولوه وزيادة .

٥. حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: للإمام محمد الامين الهرري الشافعي والذي بصدد الدراسة.

وهذه الكتب فيما اشتهر وطبع، وإلا فلا شك أنه يوجد الكثير ممن كتب في الأحكام الفقهية المستنبطة من القرآن الكريم، وخاصة الرسائل الأكاديمية الحديثة، فعند الرجوع إلي كشاف الرسائل نجد الكثير منها، ولكن الغالب عليها الاقتصار علي بعض السور أو بعض الأحكام ذات الموضوع الواحد .

(٤٥) **ينظر : التفسير والمفسرون في العصر الحديث : لعبد القادر محمد صالح (ص ٣٧١).**

المبحث الثاني: أثر الاتجاه الفقهي في الحياة العملية عند المسلمين

لا شك أن القرآن العظيم بإعجازه وإيجاز ألفاظه يحمل من المعاني الكثير، وأن المتتبع لآياته يجد بين ثناياها المعاني الكامنة، وانه كلما قوي مدرك المجتهد كلما كثرت استنباطاته من هذا الكتاب، وإيجاد الأحكام التي تنفع المجتمع، وتلائم حاجياته، كما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه:" كل علم أنما أساسه في القرآن، لكن علمنا قصر عنه " (٤٦)، ويقول الشافعي في رسالته المشهورة: " فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل علي سبيل الهدي إليها " (٤٧) وذلك لان الله تعالي يقول:" وَنَزَّلنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ " (٤٨) وغير ذلك من الآيات كما تقدم.

ومن هذا المنطلق، فإن المجتمع إن أراد السعادة الدنيوية والأخروية والفوز فيهما، فإنه يجد في هذا الكتاب – أي القرآن – وما حواه من إرشادات كما قال الشافعي أيضا: " فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصا أو استدلالا، ووفقه الله للقول والعمل لما علم منه فاز بالفضيلة في دينه ودينا ه " (٤٩) .

ومثالا علي ذلك ما تلقنه الصحابة من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حينما اتجهوا إلي القرآن يستنبطون منه الأحكام ليعالجوا ما حل بهم من مشاكل، ومن ذلك قصة عمرو بن العاص – رضي الله عنه – الذي تيمم وصلي في ليلة شاتيه، ولما سأله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن ذلك احتج بقوله تعالي: " وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً " (٥٠) أقره النبي – صلى الله عليه وسلم – ولم يقل شيئا.

وهكذا كلما زادت الحاجة إلي بيان موقف الشريعة من الأمور المستجدة كلما ظهرت اجتهادات المجتهدين، وتوسعت آفاق معارفهم، مما أوجد ثروة كبيرة من الاستنباطات الفقهية

---

(٤٦) **الرسالة للشافعي : (ص ١٢).**

(٤٧) **المصدر نفسه : (ص ١٩).**

(٤٨) **سورة النحل : الآية (٨٩).**

(٤٩) **سورة النساء : الآية (٢٩).**

(٥٠) **رواه أبو داود : (٩٢/١) برقم (٣٣٤) وأحمد وغيره وهو حديث صحيح .**

العلمية، واعتقاد المسلم أن في كتاب الله بغيته ومقصودة وحل مشاكله يجعله أشد التصاقا بهذا الكتاب، مما يثري الحياة العلمية، ولن من يجد لهم في كتابه ما يحل مشاكلهم، ولهذا كثرت التفاسير وتشعبت الدراسات القرآنية، مما جعل المكتبة الإسلامية زاخرة بآلاف الكتب التي تعني بفهم كتاب الله ودراسته.

ومن خلال تتبعنا لمن سلكوا هذا الاتجاه، فقد برزت لنا من خلال عرض مسيرة هذا المنهج ورجالاته، لاحظنا الأمور الآتية والتي سنقف علي أهمها:

أولا: أن الكتابة في التفسير الفقهي قد برزت عند ظهور أشهر المجتهدين، وفي الأزمنة التي تلت هذه الحقبة، وبلغت ذروتها في القرن الثاني والثالث والرابع الهجري، وهي القرون الذهبية للفقه الإسلامي، وتأصيل قواعده، (فقد نما في هذا الدور نموا عظيما وازدهر ازدهارا عجيبا، ونضج نضوجا كاملا وآتي ثمارا طيبة للناس، وزود الدولة الإسلامية بالأحكام القانونية لتنظيم مختلف أمورها وشؤونها قرونا عديدة، فسعد الناس بتلك الأحكام ما شاء الله لهم أن يسعدوا) (٥١).

وقد زامن ظهور المجتهدين الكبار ذوو الملكات الفقهية الراسخة، فنشأت المدارس المتعددة التي ضمت نوابغ العلماء، وذلك من أمثال مالك بن أنس، والشافعي، وتلامذة المدارس الفقهية كالطحاوي والرازي وإسماعيل القاضي، وهؤلاء كانوا جهابذة في الاستنباط والاستدلال .

ثانيا: يلاحظ علي أصحاب هذا الاتجاه أن قسما كبيرا منهم كانوا قضاة، كالقاضي إسماعيل، وابن العربي، وأبي يعلي الحنبلي، وأبي الأسود القطان، وابن بكير وغيرهم، مما يدلل أن هؤلاء القضاة لا شك أنهم أدركوا حاجة الناس في الفصل بين قضاياهم وحل مشاكلهم إلي الرجوع إلي المصدر الأول للأحكام، ففيه غنية كبيرة لهم، وفي أوقات كان الشرع فيها معظّما والقضاء الشرعي محترما، وكان الناس يرجعون تصرفاتهم إلي الحلول الشرعية التي كان القضاة يطبقونها علي الناس بما يفهمونه من كتاب الله، ولذلك رأينا فتورا في التأليف بعد القرن السادس الهجري، وهو عهد الركود وضعف الوازع الديني، وعدم الاهتمام بالاتجاه إلي القرآن

(٥١) **المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية : د/ عبد الكريم زيدان (ص ١٣٧).**

للاعتماد عليه مصدرا مهما في حياتهم، مما سهل علي الأعداء السيطرة علي بلاد المسلمين والهيمنة عليهم.

ثالثا: أن الكثير من هذه المؤلفات العلمية كان يصاحبها بعض التقيد بالمذهب إلي الذي ينتمي إليه، حتى تحس بشيء من التعصب أحيانا لمذهبه، ومن شدة دفاعه عن إمامه وصحة رأيه، ومن خلال الهجوم علي مخالفيه بقسوة أحيانا، كما رأينا ذلك عند الجصاص أو عند أبي بكر العربي أحيانا، ولم يكن هذا التصرف من الجميع، بل رأينا منهم المعتدل الذي يتبع الدليل أينما كان، حتى ولو مع مخالفيه كما هو عند القرطبي وغيره.

ولا شك أن ذلك قد تكون فيه من الجوانب السلبية ما فيه، ولكننا لا نستطيع أن نجزم في كثير من الآيات التي ظهر لنا أن مفسرا ما قد حملها على مذهبه الفقهي أن قد دفعه التعصب المذهبي لما ذهب إليه، لان الإنسان إذا نشأ في وسط معين ألف هذا الوسط، وطول التأليف يجعل النفس تميل إلي ما ألفته، فميل كثير من المفسرين لمذهبهم هو من هذا القبيل. (٥٢)

(٥٢) **أسباب اختلاف المفسرين : د/ للدكتور عبد الله الحوري (ص ٤٦).**

المراجع

- التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي، ط٢ ١٩٧٦، دار الكتب الحديثة، مصر. والأستاذ مناع القطان في مباحث علوم القرآن، الطبعة السابعة عشرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١١هـ.

- موسي لاشين في الآلي الحسان في علوم القرآن، دار الشروق القاهرة.

- غانم قدوري الناصري التكريتي " محاضرات في علوم القرآن "، دار عمار – عمان – ط ١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م).

- عياض بن نامي بن عوض السلمي: أصُولُ الِفقهِ الذي لا يَسَعُ الفَقِيهِ جَهلَهُ، دار التدمرية، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

- المستصفى من علم الأصول: الغزالي، ط بولاق، ١٣٢٢هـ

- فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت في أصول الفقه بذيل المستصفى: محب الدين ابن عبد الشكور،، ط بولاق ١٣٢٢ هـ.

- التسهيل في علوم التنزيل: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

- نيل المرام من تفسير آيات الأحكام: صديق حسن القنوجي، مطبعة المدني بمصر ١٩٦٢ م.

- بدر الدِّين محمَّد بن عبد اللّه الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ت: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط ٣ ١٤٠٠ هـ، دار الفكر بلبنان.

- الإمام جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ت: عبد المنعم إبراهيم، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ٢٠٠٣م.

- الشيخ محمد الخضرى: تاريخ التشريع الإسلامي، طبعة دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

- غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، أحمد بن محمد مكي، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي(المتوفى: ١٠٩٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

- الإمام شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠١ هـ .

- رسالة الإمام أبي الحسن الكرخي في الأصول، طبعت ضمن كتاب: تأسيس النظر، للإمام أبي زيد الدبوسي الحنفي (بيروت: دار ابن زيدون، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية).